Al-Fikr Al-Siasi Al-Islami

EISSN: 2015-2783

Islamic Sciences and culture Academy

Scientific-Specialized Bi-Annual journal

Vol. 1 ● No. 1 ● Issue 1 ● Spring & Summer 2021

Solomon and the Characteristics of a Muslim Ruler

Nour al-Din Abu Lehyeh[1]

Received: 20/05/2020 **Accepted: 26/11/2020**

Abstract

This paper seeks to examine the characteristics of a Muslim ruler based on the interpretations given in the Qur'anic story of Solomon and from this origin to obtain the characteristics of Islamic government. Since the ruler is the main pillar and component of any government, we divided the characteristics of Prophet Solomon in the Qur'an into two categories. Individual characteristics in the sense of the same criteria internalized in the person and his traits are regardless of accepting the responsibility of the official, which is one of the most important and necessary traits without which the ruler cannot play his role. The second category is the characteristics of functionalism. It means that while gaining power in his position, the ruler should have these characteristics, which is a manifestation of individual characteristics. The findings suggest that the Holy Qur'an provides a complete picture of a Muslim ruler that is defined within the framework of the Islamic system and can be generalized and implemented at different times and places.

Keywords

Ruler, The Holy Quran, Government, Islamic system.

---

1. Professor, Batna University - Algeria. Bn77.tk@gmail.com

* Abu Lehyeh. N. (2021). Solomon and the Characteristics of a Muslim Ruler. Journal *scientific-specialized Bi-Annual*, 1(1), pp. 77-111. DOI: 10.22081/ipt.2021.69672

الفكر السياسي الإسلامي
EISSN: ۲۰۱۵-۲۷۸۳
مجلة علمية نصف سنوية
المجلد ۱ • العدد ۱ • الرقم المسلسل للعدد ۱ • ربيع و صيف ۲۰۲۱

سليمان عليه السلام وصفات الحاكم المسلم

نور الدين أبو لحية *

تأريخ الاستلام: ۲۰۲۰/۰۵/۲۰ تأريخ القبول: ۲۰۲۰/۱۱/۲٦

الملخص

يهدف هذا المقال إلى البحث عن صفات الحاكم المسلم من خلال ما ورد في قصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ومن خلال ذلك التعرف على طبيعة الحكم الإسلامي، باعتبار الحاكم هو الواجهة أو الأساس الذي يقوم عليه أي نظام حاكم. وقد قسّمنا صفات سليمان عليه السلام الواردة في القرآن الكريم إلى قسمين: الصفات الشخصية: ونقصد بها الملكات والصفات الراسخة في شخص الحاكم بغض النظر عن توليه لمنصبه، وهي من الصفات الضرورية التي لا يمكن أن يُرشَّح الحاكم لوظيفته من دون التحقّق بها. الصفات الوظيفية: ونقصد بها ما على الحاكم أن يتحلى به من صفات أثناء تولّيه لمنصبه، وهي فرع من الصفات الشخصية، أو هي مظهر من مظاهرها. وقد رأينا أنّ القرآن الكريم أعطى صورة كاملة للحاكم المسلم، ومن خلالها لنوع النظام الإسلامي، والتي يمكن تنفيذها في الواقع بحسب الأزمنة والأمكنة المختلفة.

الكلمات المفتاحية

الحاكم، القرآن الكريم، الحاكمية، النظام الإسلامي.

* أستاذ قسم أصول الدين بجامعة باتنة- الجزائر. Bn77.tk@gmail.com

* أبو لحية، نور الدين. (۲۰۲۱). سليمان عليه السلام وصفات الحاكم المسلم. الفكر السياسى الاسلامى. ۱ (۱)، صص ۷۷-۱۱۱.
DOI: 10.22081/ipt.2021.69672

مقدمة

من خلال التأمل في قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، نجد أن الله تعالى جعل لكل نبي محلّاً من محال الأسوة والقدوة، والتي دعا إلى مراعاتها والبحث عنها في قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠)

فالآية الكريمة تشير إلى أمرين أساسيين: أولهما البحث عن محل القدوة من حياة النبي كما عرضت في القرآن الكريم، والثاني البحث عن كيفية تنفيذ الهدي الذي جاء به، لا بحروفه، وإنما بتنزيله إلى الواقع بحسب المتطلبات التي يتطلبها.

وبناء على هذا، فإنّ القصص القرآني المرتبط بالأنبياء عليهم السلام مجال رحب للكثير من التعاليم المقدسة التي شاء الله أن يصيغها على ذلك الشكل، لينتقل هديهم إلى هذه الأمة، ويسري فيها، وبذلك يتم التواصل بين جميع الأجيال الصالحة للبشرية.

لكنّ التحريف للأسف أصاب ذلك الهدي الذي جاء به أولئك الأنبياء عليهم السلام؛ فحوّل قصصهم إلى أساطير وخرافات ودجل، بعيدة تماماً عمّا يقتضيه الهدي من العبرة والتأسّي، بل إنّ الكثير من القيم المنحرفة تسلّلت لتلك القصص؛ فصرفتها تماماً عن غايتها التي أنزلت من أجلها.

ولعلّ أكثر تلك القصص تعرّضاً للتحريف والتبديل وإدخال الأساطير والخرافات قصة سليمان عليه السلام، فهو النبي الأكثر تضرّراً من الدجل الذي أدخلته الفئة الباغية في تفاسير القرآن الكريم، ثم من خلالها إلى كتب الحديث والعقيدة وغيرها.

ولعل السبب في ذلك هو ارتباط قصة سليمان عليه السلام بالنظام السياسي، وكونه نموذجاً للحاكم المسلم في أجمل صفاته، وهو ما تأباه الفئة الباغية التي انحرفت بالعدالة السياسية الإسلامية حين جعلت منها أمراً تابعاً للدنيا، لا للدين، ولذلك أتاحت للحاكم الحرية في ممارسة استبداده، وبغطاء ديني.

http://ipt.isca.ac.ir

وهذا ما يدعونا إلى التساؤل عن الصورة الحقيقية لسليمان عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم، لا كما وردت في الأساطير التي زجّت في التفاسير.

وهو ما يدعونا كذلك إلى البحث عن صفاته، وسرّ اختياره محلّاً للهدي الإلهي المرتبط بالسياسة ونظام الحكم، ذلك أنّ سليمان عليه السلام - من خلال ما ورد عنه في القرآن الكريم - يحمل كل صفات رجل الدولة المؤمن القوي العادل.

بل هو يحمل كل صفات الدولة المسلمة العادلة القوية، وهو بذلك يشير إلى نوع نظام الحكم الذي يدعو الله تعالى المسلمين إلى العمل به في حياتهم السياسية، ذلك أنّ الحاكم هو الركن الأساسي في كل نظام سياسي، ففي الجمهورية الإسلامية الإيرانية مثلا (الولي الفقيه) هو الذي يميّز النظام الإسلامي أو نظام الجمهورية الإسلامية عن غيره، وفي السعودية (النظام الملكي) هو المميّز للنظام السياسي، بناء على أنّ رأس الهرم لهذه الدولة هو الملك، وفي دول أخرى نجد النظام البرلماني أو النظام الرئاسي، وهكذا يسمى النظام بحسب الحاكم الذي يحكم الدولة، والصلاحيات المتاحة له.

ولذلك كان البحث عن صفات الحاكم المسلم بحثاً عن نوعية النظام السياسي الإسلامي، أو بحثاً عن نظرية الحكم في الإسلام كما نصّ عليها القرآن الكريم.

ولهذا فإنّ الله تعالى عندما دلّنا على صفات سليمان عليه السلام أو صفات الحاكم المسلم هو في الحقيقة يبيّن لنا نوع النظام الذي يقوم أو تقوم عليه الدولة الإسلامية، وهو هذا الحكم الصالح الرباني الذي تتوفر فيه هذه الصفات.

بناء على هذا وجدت أن القرآن الكريم ذكر نوعين من الصفات لسليمان عليه السلام، والتي يمكن تطبيقها على الحاكم المسلم:

أولهما: صفات شخصية ترتبط به كنبي من الأنبياء، وهي تشبه صفات جميع الأنبياء عليهم السلام، الذين تحلّوا بالعصمة بجميع صورها، ومن جميع نواحيها.

ثانيهما: صفات وظيفية ترتبط بالوظيفة التي أتيحت له، والفرق بينها وبين الأولى أن الصفات شخصية موجودة دائما منذ بدء حياته إلى وفاته، أما الصفات

الوظيفية فهي موجودة فيه، ولكن تجليّاتها تظهر عندما يمارس دوره في الحكم.

وقد قسّمنا هذا المقال إلى مبحثين بحسب نوع الصفات، وكان مصدرنا الأكبر فيه هو القرآن الكريم، ولم نرجع لكتب التفسير إلّا للضرورة، لوضوح ما ورد في قصّته، ولامتلاء كتب التفسير للأسف بما يصرف عن المعاني التي أشرنا إليها.

أولا ـ الصفات الشخصية للحاكم المسلم

ونقصد بها الملكات والصفات الراسخة في شخص الحاكم بغض النظر عن تولّيه لمنصبه، وهي من الصفات الضرورية التي لا يمكن أن يرشح الحاكم لوظيفته من دون التحقّق بها، وقد رأينا أنّه يمكن تلخيصها في الصفات التالية:

١. المنبت الحسن

ونقصد به ولادته في أسرة صالحة، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل، ١٦)، وقال عنه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (صّ، ٣٠)، وهي تدل على أنّ سليمان عليه السلام نشأ في أسرة متدينة صالحة، حيث كان أبوه نبياً، ولهذا ورث سليمان عليه السلام في بيت أبيه الأخلاق والعلم.

وهي مع كونها صفة وهبية لا مجال فيها للكسب، لكنّها مع ذلك صفة مهمة وضرورية، تتيح لمن توفرت فيه من الأهليّة ما لا تتيح لغيره.

ولهذا يذكر الله تعالى المنابت الحسنة للأنبياء عليهم السلام، فزكريا عليه السلام طلب من الله تعالى أن يكون له ولد يكون خليفته في بني إسرائيل كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ (مريم، ٤ ـ ٦).

وهذا نرى رسول الله صلى الله عليه وآله يجهّز الإمام عليّ عليه السلام من صباه الباكر إلى وفاته بكل الصفات التي تحتاجها الشخصية المسلمة، وخصوصاً تلك التي تتولّى مهام السياسة والهداية، ولذلك كان الأولى من غيره، لا بناءً على نسبه، وإنّما على توفّر تلك الصفات فيه، بسبب البيئة التي عاش فيها، كما يشير إلى ذلك قول الإمام علي عليه السلام ردّاً على أولئك الذين استدلّوا بالقرشية على الأحقية للحكم، وذكروا بأن قريشاً هي شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال الإمام علي: (احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة!) (الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ) وقال في بعض احتجاجاته:

(وا عجباه أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة؟!) (المصدر نفسه، ص ١٩٧) وهكذا أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى أهمية المنبت الصالح في التحقّق بالإمامتين: إمامة الهداية، وإمامة السياسة، فقال: (كان علي بن أبي طالب عليه السلام عالم هذه الأمة، والعلم يتوارث، وليس يمضي منّا أحدٌ حتى يرى من ولده من يعلم علمه ولا تبقى الأرض يوماً بغير إمام منّا تفزع إليه الأمة)، قيل له: يكون إمامان؟ قال: (لا إلّا وأحدهما صامت لا يتكلم حتى يمضي الأول) (القمي، ١٤٠٤هـ).

وعند التأمل في التاريخ السياسي للدول الإسلامية نجد للأسر المنحرفة تأثيرها العظيم في زراعة الكثير من الحكّام الفاسدين الذين انحرفوا بالأمة عن مسارها الصحيح، ومن أهم الأمثلة على ذلك الحكم الأموي الذي حذّر منه رسول الله صلى الله عليه وآله، وحذّر من الأسرة التي تقوم به، فقال: (هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش)، قال الراوي: (إن شئت أن أسمّيهم بني فلان وبني فلان) (الشيباني، ج٢، ص ٣٢٤) والبخاري، ١٤١٤هـ و قال مبيناً خطر معاوية سليل أسرة بني سفيان على الإسلام والأمة جميعاً، فقال: (لا يزال أمر هذه الأمة قائماً بالقسط، حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية) (الشامي، ١٩٩٣ م)، وقال: (أول من يبدّل سنّتي رجل من بني أمية) (الشيباني، ١٤١١هـ).

وغيرها من التحذيرات الكثيرة التي لم تؤخذ بالحسبان، حيث تولّى معاوية ولاية الشام، ولفترة طويلة في عهد الخليفتين الثاني والثالث، من غير مراعاة

لكونه من الطلقاء الذين لم يتمثل فيهم الدين، وذلك ما ساهم في تحضيره للفتنة الكبرى التي حوّلت مسار الحكم في الأمة إلى الملكية والاستبداد، وأبعدت العترة الطاهرة التي كانت أولى الناس بحكم المسلمين، كما كانت الأولى بهدايتهم. وهكذا نجد النماذج الكثيرة لدور بعض أبناء الأسر المنحرفة في تبديل أنظمة الحكم، وتحويلها إلى أنظمة استبدادية ممتلئة بالجور، ولهذا كان من أسباب قيام الحكم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية على دعائم ثابتة عدم قدرة أمثال تلك الأسرة على التسلّل للمناصب بناء على التشدد في اختيار المسؤولين.

وهذا لا يعني أن الشخص الذي ليس له أسرة حسنة لا يستحق أن يكون حاكماً أو مسؤولاً، وإنّما يعني أنه كلما توفرت هذه الصفات كان ذلك أكمل وأجمل.

٢. الربانية والتقوى

الصفة الثانية للحاكم المسلم هي الربانية، والتي أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران، ٧٩)، وهي تعني الانتساب للرب، والتقرّب منه، وكون الحياة كلها مرتبطة به، وبعبادته والتسليم له، كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام. ١٦٢، ١٦٣).

ولهذا يصف الله تعالى سليمان عليه السلام بأنه أوّاب، أي كثير الأوبة والرجوع إلى الله (انظر: الشيرازي، ١٤٣٣هـ (١٤/ ٤٧٢)، قال تعالى: **﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** (ص: ٣٠) وهكذا يرد في القرآن الكريم وصف كثرة رجوعه، وذكره لله تعالى كل حين، كما قال تعالى تعقيبا على الآية السابقة: **﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾** (ص، ٣١، ٣٢) وقال في وصف مشهد آخر من مشاهد حياته: **﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ**

جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص، ٣٤، ٣٥) وقال في مشهد آخر: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل، ١٧ - ١٩).

وهكذا يشير القرآن الكريم إلى ذكره لله تعالى في كلّ محل، سواء بينه وبين نفسه، أو عند خطابه للرعية، ليدلّها إلى الله، وعلى أنه لم يستحق الحكم إلّا لكونه موصولاً بالله.وأهمية هذا الشرط، وعلاقته بالحكم الإسلامي تنطلق من كون (الحاكمية الإلهية)، أو (الحكومة الإسلامية)- كما يعبّر عنها الإمام الخميني - تستلزم توفّر أمرين:

الأول: أن تكون جميع قوانين الدولة مستمدة من الشريعة الإلهية.

الثاني: أن يكون المنفّذ لتلك القوانين، وخاصة في مراتبها العليا، عبدٌ ربانيّ موصول بالله تعالى، وبذلك يتحقق الحكم الإلهي عبر التمثيل البشري.

وأهمية هذا الركن تتجلّى في كون العبد الرباني عبداً فانياً عن نفسه، زاهداً في الحياة الدنيا، راغباً في الله، متوكلاً عليه، لا يتزحزح أبداً أمام المؤامرات التي قد تستهدف بها دولته، وهو ما يشير إليه قوله تعالى عن موسى عليه السلام - الذي صار مسؤولاً عن إخراج قومه من استبداد فرعون - بعد أن حوصروا: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء، ٦١ - ٦٣).

ثم عقّب الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (الشعراء، ٦٣ - ٦٦).

وهي تشير إلى بعد مهم جداً في اختيار العبد الرباني دون غيره، وهو ذلك

المدد الإلهي الذي يحظى به، بسبب قربه من الله تعالى، ولهذا يخبر الله تعالى أنه سخّر لسليمان عليه السلام ـ بسبب ربانيّته ـ كلّ شيء حتى الشياطين، قال تعالى:

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص، ٣٦ - ٣٩).

وهذه الآيات الكريمة ـ وإن كانت خاصة بسليمان عليه السلام ـ إلّا أنه يمكن أن نعبر بها ذلك المحل، لتشمل كل أنواع اللطف الإلهي الذي تستحقه الشعوب التي تولّي أمورها للصالحين، فتحكمها القوانين الصالحة، ومن يمثّلها من الصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٥، ٦٦) ومن الإشارات العجيبة المرتبطة بهاتين الآيتين الكريمتين، ما عقّبتا به، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة، ٦٧).

وهي تشير إلى الأمر الإلهي لرسول الله صلى الله عليه وآله، ليخبر الأمة عن الإمام الصالح الرباني الذي هو الأحقّ بحكمها، وهو الإمام علي عليه السلام، كما ورد ذلك في مصادر الأمة جميعاً، وقد أخبرهم عن الخير الكثير الذي ينتظرهم إن فعلوا ذلك، كما روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: (لو أنّ الامة بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اتّبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) (الهلالي، ١٤٠٥هـ).

وننبّه هنا إلى أنّ الاهتمام بهذه القيمة الأساسية في الحاكم هي التي جعلت النظام الإيراني الإسلامي يضع المؤسسات التي تحمي الشعب من أن يمثله المتهتكون أو الفاسدون في أخلاقهم؛ ففي الوقت الذي نجد فيه كل ديمقراطيات العالم تأذن لمن هبّ ودبّ في الترشّح لأيّ نوع من الانتخابات نجد على عكسها النظام الإيراني يضع الشروط الأخلاقية والدينية في الذين يمكن قبولهم، حتى لا يتسرّب الفاسدون والمفسدون إلى المناصب الحساسة؛ فيفسدوا الشعب، ويعبثوا

به، كما قال الإمام الخميني في وصيته السياسية: (من الأمور الضرورية أيضاً، تديّن نواب مجلس الشورى الاسلامي، فقد رأينا جميعاً أيّة أضرار محزنة لحقت بالإسلام وبإيران نتيجة عدم صلاحية مجلس الشورى وانحرافه منذ الفترة التي تلت النهضة الدستورية وحتى عهد النظام البهلوي المجرم، والتي كان أسوأها وأخطرها عهد ذلك النظام الفاسد المفروض. يالها من مصائب وخسائر مدمرة حلّت بالبلاد والشعب على أيدي هؤلاء العبيد التافهين المجرمين، لقد أدّى وجود أكثرية مصطنعة مقابل أقليّة مظلومة خلال الخمسين عاماً الأخيرة ـ من العهد البائد ـ إلى تمكّن إنجلترا والاتحاد السوفيتي وأمريكا بعد ذلك من تمرير كل ما أرادوه على أيدي هؤلاء المنحرفين الغافلين عن الله مما جرّ البلاد الى حافة الدمار والانهيار. فمنذ ما تلا الحركة الدستورية لم يطبق شيء تقريباً من مواد الدستور الأساسية، وقد تمّ ذلك قبل عهد رضا خان عبر عملاء الغرب وحفنة من الباشوات والإقطاعيين، وعبر النظام الدموي وحواشي البلاط وأزلامه في عهد النظام البهلوي) (الخميني، ص ٤٠).

وبناء على هذه التجربة القاسية التي ذكرها الإمام الخميني، والتي مرت بها إيران دعا إلى التشدد في اختيار النواب، والاهتمام بالتزامهم الديني والأخلاقي حتى لا يخترقهم العدو، ويمرر مشاريعه التدميرية من خلالهم، يقول في ذلك: (أما الآن، وحيث أصبح مصير البلاد ـ وبلطف الله وعنايته وهمة الشعب العظيم ـ بأيدي المواطنين أنفسهم، حيث أصبح النواب منبثقين من سواد الجماهير يتم انتخابهم لمجلس الشورى الإسلامي دون تدخل الحكومة أو الباشوات، فإن المؤمّل أن يحول التزامهم بالإسلام وحرصهم على مصالح البلاد دون وقوع أي انحراف، لذا فإني أوصي أبناء الشعب أن يصوتوا في كل دورة انتخابية ـ حاضراً ومستقبلاً ـ لصالح المرشحين الملتزمين بالإسلام والجمهورية الإسلامية انطلاقاً من إرادتهم الصلبة والتزامهم بأحكام الإسلام وحرصهم على مصالح البلاد) (المصدر نفسه، ص ٤١).

٣. العلم والحكمة والفهم

وهي الصفة الثالثة لسليمانعليه السلام، كما ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي تتشكل من ثلاث صفات، كلها تصب في محل واحد، وإن كانت تختلف عن بعضها في صورتها ومجالاتها، وهي العلم والحكمة والفهم.

وقد أشار إلى هذه الصفات قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۞ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء، ٧٨، ٧٩).

فقد جعل الله تعالى الفهم قريناً للعلم، وأخبر بأنه فهّم سليمانعليه السلام، وأنّ حكمه كان نتيجة للفهم لا لمجرد العلم، وقصة ذلك كما أوردها المفسرون هي أنّ غنم رجل دخلت حرث آخر، فعاثت فيه فسادا، فذهبا إلى داوودعليه السلام، فحكم أن يدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فلما خرج الخصمان على سليمانعليه السلام، وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم، وكانوا يدخلون إلى داوود من باب آخر فقال: بم قضى بينكما نبي الله داوود؟ فقالا: قضى بالغنم لصاحب الحرث، فقال: (لعل الحكم غير هذا، انصرفا معي) فأتى أباه فقال: (يا نبي الله أنك حكمت بكذا وكذا وإني رأيت ما هو أرفق بالجميع)، قال: وما هو؟ قال: (ينبغي أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث فينتفع بألبانها وسمونها وأصوافها، وتدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلى حال التي أصابته الغنم في السنة المقبلة، رد كل واحد منهما مال إلى صاحبه)، فقال داودعليه السلام: (وفقت يا بني لا يقطع الله فهم)، وقضى بما قضى به سليمانعليه السلام (ابن كثير، ١٤٢٠هـ).

وهذا يدل على أن هناك أمران في كل مسألة:

١. **الحكم الحرفي للمسألة**، وهو ما ينصّ عليه عادة ظاهر الشريعة، أو ظاهر القانون، وهو ما حكم به هنا داوودعليه السلام، حيث عوّض صاحب الأرض قيمة ضرره، فكانت قيمتها هي غنم الآخر.

٢. **الحكم المقاصدي للمسألة**، وهو الحكم الذي يراعي مصلحة الجانبين، فلا يتضرر أحدهما لينتفع الآخر، وهو ما حاول سليمان عليه السلام أن يصل إليه عبر ذلك الحكم.

وهذا ـ وإن ذكره القرآن الكريم ـ عن سليمان عليه السلام إلّا أنه يشير إلى أن الحاكم المسلم هو الذي تتوفر لديه الأدوات اللازمة للفهم، حتى يتمكن من الأداء الأمثل للوظائف التي كلّف بها.

وهذه الأدوات حسبما نرى ثلاثة لا غنى عنها، وهي: العلم بمقاصد الشريعة، والعلم بأدوات فهم النصوص والاستنباط منها، والعلم بالأحكام العقلية، وكيفية تطبيقها، ذلك لأن الغرض من الفهم هو استثمار العلم وتزكيته وتطبيقه واستعماله في الموضع اللائق به، ولا يكون ذلك إلّا بتوفّر العلوم الثلاثة السابقة.

فالعلم الأول يدلنا على فهم مراد الله، والعلم الثاني يدلنا على فهم كيفية تطبيق مراد الله، والعلم الثالث، وإن كان من العلوم الضرورية إلّا أنّه يقي عقولنا من الخروج عن الشرع الذي شرعه الله لفطرتنا التي فُطرنا عليها.

وبهذه العلوم الثلاثة يتبيّن لنا فضل الحكمة على العلم، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة، ٢٦٩)، والتي عقّب عليه بعض المفسرين بقوله: (إنّ من أعطي الحكمة والقرآن فقد أعطي أفضل ما أعطي من جمع علم كتب الأولين من الصحف وغيرها، لأنه قال لأولئك: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلّا قَلِيلاً﴾ (الاسراء، ٨٥)، وسمّى هذا خيراً كثيرا، لأنّ هذا هو جوامع الكلم) (القرطبي، ١٣٨٤هـ).

وسرّ ذلك أنّ العلم محدود بجمله وتفاصيله، ولكنّ الفهم لا حدود له، لأنّ تزاوج مفردات العلوم ينتج علوماً جديدة، وهكذا تتوالد العلوم لمن رزقه الله القدرة على الفهم والتحليل والاستنباط، يقول الغزالي: (والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى، فالمعرفة نتاج المعرفة. فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك

نتاج آخر. وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية، وإنّما تنسدّ طريق زيادة المعارف بالموت. أو بالعوائق وهذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي إلى طريق التفكير. وأما أكثر الناس فإنّما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم، كالذي لا بضاعة له فإنّه لا يقدر على الربح، وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئاً، فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج المفضي إلى النتاج فيها) (الغزالي)

وهذا الانتاج المتزايد المتنامي لثمرات الحكمة، لا يكون في أكمل صوره إلّا لمن جمع مع الفهم وآلياته قلباً منوّراً بنور الذكر، كما قال بعضهم: (إنّ أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر، وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة)

وعند تطبيق هذا على واقعنا المعاصر، وعلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية خصوصا، نجد الفرق الكبير بين النظام الذي كان يديره الشاه الذي كان جاهلاً بأبسط المعارف، وهو ما أتاح للأمريكيين وغيرهم أن يتسلّطوا ويهيمنوا عليه وعلى نظامه، بخلاف النظام الذي أسّسه الإمام الخميني، والذي يقوم على العلماء والحكماء والخبراء والمختصّين في كل المجالات، ذلك أنّه لا شيء يحفظ النظام كما يحفظه العلم.

ولهذا يذكر الله تعالى أنّ الصفة الكبرى التي توفّرت لطالوت لتولّي حكم بني إسرائيل هو كونه أكثرهم علماً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة، ٢٤٧).

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أنّ الأولى بكل المناصب هم أهل الخبرة والعلم فيها، كما قال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان، ٥٩).

وهي تشير كذلك إلى أنّ ولاية الفقيه تتعدّى الاكتفاء بالفتاوى المرتبطة

بالعبادات ونحوها، وإنّما تشمل كل مناحي الحياة، وعدم الاكتفاء فقط بالفتوى، وإنما بتنفيذ تلك الأحكام، ذلك أنّ أولى الناس بأي شيء أكثرهم علماً به.

٤. النزاهة والزهد

وهي مرتبطة بالصفات السابقة، وخصوصاً بالربانية، وهي مهمة جدا، ذلك أنّ الحاكم الصالح يعيش ببدنه في الدنيا، لكنّ قلبه معلّق بالآخرة، ولذلك لا تؤثّر فيه كل إغراءات الدنيا ومتاعها.

ويشير إلى هذه الصفة ما ذكره الله تعالى عن موقف سليمان عليه السلام من هدية ملكة سبأ، والتي لم تكن في حقيقتها سوى رشوة لاختباره، قال تعالى يحكي قصة ذلك: ﴿قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (النمل، ٣٢ - ٣٧).

ولو أنّا تأملنا ما حصل في التاريخ من انحراف الأنظمة وفسادها، وتحولها إلى أنظمة استبدادية جائرة، لوجدنا الحرص وحب الدنيا هو السبب في كل ذلك، كما أشار إلى ذلك قوله صلى الله عليه وآله في حديثه عن أنواع الفتن التي ستبتلى بها الأمة: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم) (القشيري النيسابوري، ١٣٩٨هـ).

وقد شهد الجيل الذي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله على أنّ تلك الفتنة حصلت، وأنّهم رأوها بأمّ أعينهم، كما شهدوا أنّ هناك من رسب فيها، ففي الحديث عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: (ابتلينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بالضراء فصبرنا، ثم

ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر) (الترمذي، ١٩٩٨م، (٢٤٦٤).

وما ذكره هذا الصحابي يشير إلى ذلك الانحراف الخطير الذي حصل في الأمة نتيجة غرق المسؤولين والحكّام في الفساد، وهو ما جعلهم يرغبون عن ولاية الإمام علي الذي أوصى له رسول الله ﷺ إلى ولاية معاوية، لأنه كان يشتريهم بالأموال، ويتلاعب بكرامتهم ودينهم بواسطتها.

وهكذا فإن الباحث الصادق في التاريخ، والذي يستعمل المنهج القرآني والنبوي في التعامل مع الأحداث سيرى أنّ كل ما حصل من مآس في التاريخ الإسلامي لم يكن سوى مصداق من مصاديق فتنة السراء.

ولعلّ أعظم دليل على ذلك ما حصل في الأندلس، والتي يسموها (الفردوس المفقود)، لأنها بدت لمن دخلها بصورة الجنة، خاصة بعد أن عمّروها بالقصور التي ملأوها بالجواري، وأجروا تحتها الأنهار، وصار بعضهم يدفع الجزية للنصارى، ويستعين بهم على إخوانه من أجل أن تبقى له قصوره، وما فيها من متاع الدنيا.

ولذلك، فإن القارئ الصادق للتاريخ، ومن المصادر الإسلامية يكتشف بسهولة أن وجود المسلمين في الأندلس ابتداء وانتهاء لم يكن له غاية إلّا الدنيا، ذلك أنّ أهل البلاد الأصليين كانوا أشد الناس نفورا منهم، وكانوا يستعملون كل الوسائل لحربهم، ومع ذلك لم يخرجوا، وقد قال محمد عبد الله عنان في كتابه عن تاريخ الأندلس يذكر ذلك، مع العلم أنه ليس من المستشرقين، بل هو مصري، ويرجع في كل النصوص التي ينقلها للمصادر التاريخية المعتبرة: (في فترة قصيرة لا تجاوز نصف القرن، تقلبت الأندلس بين مرحلتين متباينتين كل التباين؛ فهي في منتصف القرن الرابع الهجري وحتى أواخر هذا القرن، تبلغ ذروة القوة والتماسك، في ظل رجال عظام مثل عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر، والحاجب المنصور؛ ثم هي منذ أوائل القرن الخامس، تنحدر فجأة إلى معترك لا مثيل له، من الاضطراب والفتنة والحرب الأهلية المدمرة، لتخرج من

هذه الغمار بعد فترة قصيرة، أشلاء لا تربطها أية رابطة مشتركة) (عنان، ١٩٩٠م)

ثانياً ـ الصفات الوظيفية للحاكم المسلم

ونقصد بها تلك الصفات التي يحتاجها الحاكم إبان توليه للوظائف التي توكل إليه، ولها علاقة كبرى بالصفات السابقة، ذلك أن قابليته لهذه الصفات منوطة بما يتوفر لديه من صفات شخصية.

وقد رأينا تلخيصها في الصفات التالية:

١. القوة العلمية والتقنية

وهي فرع من صفة (العلم والحكمة والفهم)، والتي أشرنا إليها سابقا، ذلك أنّ الحاكم الذي يكون عالماً ومحبّاً للعلم سوف يسير في الرعية بما يقتضيه علمه، بالإضافة إلى استعماله العلم في تسيير شؤون الرعية.

ويشير إلى هذا ذلك الاختبار الذي قام به سليمان عليه السلام لحاشيته، والذي أراد من خلاله أن يختبر القدرات العلمية المتاحة لهم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل، ٣٨ ـ ٤٠).

وهي تشير إلى أنّ سليمان عليه السلام لم يكن ينتقي من حاشيته أو لوظائف الدولة إلّا من له القدرة العلمية والتقنية على أداء مسؤولياته، وعلى أحسن الوجوه.

ويمكن تفعيل هذه الآيات الكريمة في واقعنا بأن يجري الحاكم المسلم اختبارات لمن يتولون المناصب؛ فمن نجح منهم في تقديم المشروع المناسب الصالح كان الأولى من غيره.

وهكذا يذكر الله تعالى اهتمام سليمان عليه السلام بكل التقانات التي تيسر حياة

الرعية، كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ، ١٢، ١٣).

وهي في مفهومها العام تشير إلى أن الحاكم المسلم يستعمل كل ما أوتي من طاقة علمية له أو لرعيته للتوصل للحلول لكل المشكلات التي تعترضهم، كما قال تعالى عن ذي القرنين عندما أراد أن يخلّص بعض المستضعفين من قمع المستكبرين:

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: ٩٢ – ٩٧).

ومثل ذلك ما ورد في القرآن الكريم من المشروع الذي ذكره يوسف عليه السلام للخروج من الأزمة التي ستتعرض لها مصر والبلاد المجاورة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف، ٤٧).

وعلى أساس ذلك المشروع طلب تولّي الحكم، حتى يستطيع تنفيذه بدقة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف، ٥٥، ٥٦).

ولذلك نرى القرآن الكريم يشيد بالصناعات المختلفة، والقدرات العلمية والتقنية المرتبطة بها على الرغم من أن البيئة التي نزل فيها كانت تحتقر هذا النوع من العلوم، فلذلك لم يكن يمارسها عندهم إلّا العبيد، فلما جاء القرآن الكريم أخبر أن هذه الصناعات كان يمارسها الأنبياء عليهم السلام ليعلي من شأنها، ويرفع ذلك

الاحتقار الذي ورثه هؤلاء عن أولئك، ولهذا يقرن الله تعالى إنزال الحديد بإنزال الكتاب، فيقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد، ٢٥).

ويحكي عن داود عليه السلام ـ وهو الحاكم المسلم ـ اهتمامه بصناعة الحديد، فيقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ، ١٠).

وقد قال بديع الزمان النورسي معلّقاً على هذه الآية الكريمة: (فهذه الآية تشير إلى النعمة الإلهية العظمى في تليين الحديد كالعجين وتحويله أسلاكاً رفيعة، وإسالة النحاس، واللذان هما محور معظم الصناعات العامة، حيث وهبها الباري الجليل على صورة معجزة عظمى لرسول عظيم وخليفة في الأرض عظيم. فما دام سبحانه قد كرّم مَن هو رسول وخليفة معاً، فوهب للسانه الحكمة وفَصل الخطاب، وسلّم إلى يده الصنعة البارعة، وهو يحض البشرية على الإقتداء بما وهب للسانه حضاً صريحاً، فلابد أنّ هناك إشارةً ترغّب وتحضّ على ما في يده من صنعة ومهارة) (النورسي).

ثم بين كيفية الاستفادة منها في واقعنا، فقال: (فسبحانه يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة: يا بني آدم! لقد آتيتُ عبداً من عبادي أطاع أوامري وخضع لما كلّفته به، آتيت لسانَه فصل الخطاب، وملأتُ قلبَه حكمةً ليفصل كل شيء على بينة ووضوح. ووضعت في يده من الحقيقة الرائعة ما يكون الحديدُ كالشمع فيها، فيغيّر شكله كيفما يشاء، ويستمد منه قوة عظيمة لإرساء أركان خلافته وإدامة دولته وحُكمه. فما دام هذا الأمر ممكناً وواقعاً فعلاً، وذا أهمية بالغة في حياتكم الاجتماعية. فأنتم يا بني آدم إن أطعتم أوامري التكوينية تُوهَب لكم أيضاً تلك الحكمة والصنعة، فيمكنكم بمرور الزمن أن تقتربوا منهما وتبلغوهما، وهكذا فإنّ بلوغَ البشرية أقصى أمانيّها في الصناعة، وكسبَها القدرة الفائقة في مجال القوة المادية، إنّما هو بتليين الحديد وبإذابة النحاس

(القِطر). فهذه الآيات الكريمة تستقطب أنظار البشرية عامة إلى هذه الحقيقة، وتلفت نظر السالفين وكسالى الحاضرين إليها، فتنبّه أولئك الذين لا يقدرونها حق قَدرها) (المصدر نفسه).

ومثل ذلك أشار إلى ما يختزنه اختبار سليمان عليه السلام للملأ من أصحابه، فقال: (هذه الآية تشير إشارةً رائعة إلى إحضار الصور والأصوات من مسافات بعيدة. فالآية تخاطب: أيّها الحكام! ويا من تسلّمتم أمر البلاد! إن كنتم تريدون أن تسودَ العدالةُ أنحاءَ مملكتكم، فاقتدوا بسليمان عليه السلام واسعَوا مِثلهُ إلى مشاهدة ما يجري في الأرض كافة، ومعرفة ما يحدث في جميع أرجائها. فالحاكم العادل الذي يتطلع إلى بسط راية العدالة في ربوع البلاد، والسلطان الذي يرعى شؤون أبناء مملكته، ويشفق عليهم، لا يصل إلى مبتغاه إلّا إذا استطاع الإطلاع -متى شاء- على أقطار مملكته. وعندئذٍ تعمّ العدالة حقاً، وينقذ نفسَه من المحاسبة والتبِعَات المعنوية.. فالله سبحانه يخاطب بالمعنى الرمزي لهذه الآية الكريمة: يا بني آدم! لقد آتيتُ عبدا من عبادي حُكمَ مملكة واسعة شاسعة الأرجاء، ومنحتُه الإطلاع المباشر على أحوال الأرض وأحداثها ليتمكن من تطبيق العدالة تطبيقاً كاملاً. ولما كنتُ قد وهبتُ لكل إنسان قابلية فطرية ليكون خليفة في الأرض، فلا ريب أنّي قد زوّدتُه -بمقتضى حكمتي- ما يناسب تلك القابلية الفطرية، من مواهب واستعدادات يتمكن بها من أن يشاهد الأرض بأطرافها ويدرك منها ما يدرك. وعلى الرغم من أنّ الإنسان قد لا يبلغ هذه المرتبة بشخصه إلّا أنه يتمكن من بلوغها بنوعه. وإن لم يستطع بلوغها مادياً، فإنّه يبلغها معنوياً، كما يحصل للأولياء الصالحين، فباستطاعتكم إذن الاستفادة من هذه النعمة الموهوبة لكم. فسارعوا إلى العمل الجاد واسعوا سعياً حثيثاً كي تحوّلوا الأرضَ إلى ما يشبهُ حديقةً صغيرة غنّاء، تجولون فيها وترون جهاتها كلّها وتسمعون أحداثها وأخبارها من كل ناحية منها غير ناسين وظيفة عبوديتكم) (المصدر نفسه).

٢. الحرص على الرعية

وهي من الصفات الضرورية للحاكم، ذلك أنه واسطة الرعاية الإلهية لمن يتولاهم، ولذلك يحتاج أن يتوفر على الرحمة والعطف ما يجعله حريصاً عليهم، وعلى مصالحهم، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في حق رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران، ١٥٩).

ويشير إلى هذا المعنى من قصة سليمان عليه السلام، تفقده لرعيته من الحيوانات، كما قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل، ٢٠)، فقد شعر سليمان بغيبة الهدهد، فراح يبحث عنه.

ولم يكتف بالبحث، وإنما راح ينزل إليه، وهو النبي الكريم، ويسأله عن سر غيابه، ثم يوكل له من المهام ما يراه متناسباً معه، وكل ذلك يشير إلى أن الحاكم هو الذي يكون مع الشعب والجماهير، ولا ينعزل عنهم في برجه العاجي.

ويشير إلى هذا من سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله مخالطته لأصحابه ورعيته وعدم احتجابه عنهم بأي نوع من أنواع الحجاب، بل إنه صلى الله عليه وآله كان يعتبر الحجاب نوعاً من الاستبداد، فقد قال يحذّر من الاحتجاب عن الرعية: (من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة) (مسند أحمد).

ومن هذا المنطلق كان أسهل شيء على أي أحد من الناس مقابلة رسول الله صلى الله عليه وآله والجلوس معه، فقد قال الحسن يصف رسول الله صلى الله عليه وآله: (والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجفان، ولا يراح بها عليه، ولكنه كان بارزا، من أراد أن يلقى نبى الله صلى الله عليه وآله لقيه، كان يجلس على الأرض، ويطعم ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف خلفه، ويلعق يده) (الصالحي).

ووصفه حمزة بن عبيد الله بن عتبة قال: كانت في رسول الله خصال ليست في الجبارين، كان لا يدعوه أحمر، ولا أسود، إلّا أجابه، وكان ربما وجد تمرة ملقاة فيأخذها، فيرمي بها إلى فيه، وإنه ليخشى أن تكون من الصدقة، وكان يركب الحمار عرياً، ليس عليه شئ) (المصدر نفسه).

وذات مرة لقيه رجل تصور أنه مثل كل القادة والزعماء لكنه فوجئ بتواضعه الشديد، ففي الحديث عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله كلّم رجلاً فأرعد، فقال: (هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديدة) (المصدر نفسه).

وفي حديث آخر عن عبد الله بن بسر، قال: أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله شاة فجثا على ركبتيه، فأكل، فقال أعرابي: يا رسول الله ما هذه الجلسة؟ فقال:(إن الله عزوجل جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيدا) (المصدر نفسه).

وقد أشفق الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وآله مما يصيبه من تلك المخالطة، فطلبوا منه أن يتخذوا له محلاً خاصاً، فأبى، ففي الحديث: قال العباس: يا رسول الله إني أراهم قد آذوك، وآذاك غبارهم، فلو اتخذت عريشا تكلمهم فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:(لا أزال بين أظهرهم يطئون عقبي وينازعوني ثوبي، ويؤذيني غبارهم، حتى يكون الله هو الذي يرحمني منهم) (المصدر نفسه).

٣. الشدة في تطبيق القوانين

ذلك أن الحزم والنظام هو الذي يحمي الدولة من تسرب الانتهازيين والانتفاعيين الذين تغريهم الحرية المتاحة لهم للإفساد في الأرض، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (النمل، ٢٠، ٢١)، والظاهر فيها أن سليمان عليه السلام قال ذلك بقصد التهديد، وهو يدل على أنّ القوانين كانت مشدّدة مع المقصرين.

http://ipt.isca.ac.ir

ولهذا شرّع الله تعالى الحدود والتعزيرات، وأتاح للحاكم المسلم استعمالها، ليحفظ المجتمع من تسرّب أدوات الفساد إليه، ذلك أن فرداً واحداً أو أفراداً معدودين من المنحرفين يمكنهم إذا أعطيت لهم الحرية الكافية الخالية من أي ردع أن يفسدوا مجتمعاً كاملاً، ولذلك ورد في الأثر: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) (قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ١١١) في بيان معناها: (إن الله تعالى يمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام، ما لا يمتنع كثيرٌ من الناس بالقرآن برغم ما فيه من الوعيد الأكيد، والتهديد الشديد)

وقد نصّ القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله تعالى عند بيان حد الفاحشة: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور، ٢)، فقد ربط الله تعالى بين عقوبة الزناة مع أمره بحضور جماهير الناس للعقوبة، حتى يكون ذلك وازعا تربوياً لهم.

وهكذا أخبر القرآن الكريم أن القصاص حياة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة، ١٧٩)، ذلك أن إقامة القصاص على فرد واحد يحمي المجتمع من سريان مثل هذه الظاهرة فيه، وبذلك يحيا المجتمع جميعا بحمايته من أمثال هذه الجرائم.

بناء على هذا، كانت المقارنة في مجال الحريات وحقوق الإنسان بين النظام العلماني الذي تتبناه أكثر دول العالم وبين النظام الإسلامي مقارنة خاطئة؛ فالفلسفة التي يقوم عليها كلا النظامين مختلفة تماماً.

ولهذا، فإن الدعايات المغرضة التي تنتقد قوانين العقوبات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية أو تقارن بينها وبين النظم العلمانية دعايات قد تقبل في المجتمعات غير المسلمة، لكن المسلم الحريص على دينه العارف بربه، لا يمكنه أن يرفضها، أو ينتقدها، لأنها قوانين شرعية، ومنطلقة من الأحكام الفقهية،

بالإضافة إلى دورها الكبير في مواجهة الجريمة والانحلال، وهي مع مقومات تربوية أخرى تشكل ركنا أساسيا في الإصلاح الاجتماعي.

٤. الحرص على قوة الدولة

ذلك أن الدولة الإسلامية تمثل المشروع الإلهي في مقابل المشروع الشيطاني، ولا ينبغي للمشروع الشيطاني أن يظهر بصورة أجمل أو أقوى من المشروع الإلهي، ولذلك طلب سليمان عليه السلام من ربه سبحانه وتعالى أن يعطيه ملكا لم يعطه أحداً من عباده، كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص، ٣٥).

فسليمان عليه السلام ـ بحسب ما يدل عليه النص القرآني ـ ما طلب ذلك الملك، وبتلك الصورة التي لا ينازعه فيها أحد إلّا ليثبت نجاعة المشروع الإلهي في مقابل غيره من المشاريع.

ولهذا كلما كانت الدولة الإسلامية أقوى من غيرها، وأكثر تفوقاً، كلما كانت أكثر تمثيلاً للدين، وللقيم العظيمة التي جاء بها، ولهذا كان سليمان عليه السلام ـ كما يذكر القرآن الكريم ـ يعتني برؤية مظاهر التفوق في بلده، كما أشرنا إلى ذلك عند طلبه الإتيان بعرش ملكة سبأ، وكأنه يريد من خلال ذلك أن يثبت للعالم أن الدولة الإلهية هي الدولة الأكثر تفوقاً، وأن تفوّقها لا يحول بينها وبين عبوديتها لربها.

ويشير إلى هذا أيضا بناؤه للصرح الممرّد من القوارير على الرغم من زهده وبعده عن الأهواء المرتبطة بها، ولكنّه ـ عندما رأى حاجة ملكة سبأ إلى المزيد من الأدلة ـ أخذها إلى ذلك القصر، وقد كان فيه من الجمال بحيث لا يساوي عرشها الذي شغلها عن الله شيئا بجانبه، وحينذاك لم تملك إلّا أن تسلم لله، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل، ٤٤).

ويشير إلى هذا أيضا قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (ص، ٣٠ - ٣٣).

وقد قال العلامة السبحاني في تفسيرها بعد أن أورد الوجوه النحوية في كل كلمة منها: (وتقدير الجملة: أحببت الخير حبّاً ناشئاً عن ذكر الله سبحانه وأمره، حيث أمر عباده المخلصين بالإعداد للجهاد ومكافحة الشرك وقلع الفساد بالسيف والخيل، ولأجل ذلك قمت بعرض الخيل، كل ذلك امتثالاً لأمره سبحانه لا إجابة لدعوة الغرائز التي لا يخلو منها إنسان كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران، ١٤)) (السبحاني).

وانطلاقا من هذا المعنى فسر قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (ص، ٣٣)، فقال: (أي شرع بمسح أعراف خيله وعراقيبها بيده تقديراً لركّابها ومربّيها الذين قاموا بواجبهم بإعداد وسائل الجهاد)

ثم قرب ما حصل بطريقة عصرية، فقال: (إلى هنا اتضح مفاد مفردات الآية وجملها، وعلى هذا تكون الآيات هادفة إلى تصوير عرض عسكري قام به أحد الأنبياء ذوي السلطة والقدرة في أيّام ملكه وقدرته، وحاصله: إنّ سليمان النبي الذي أشار القرآن إلى ملكه وقدرته وسطوته وسيطرته على جنوده من الإنس والجن، وتعرّفه على منطق الطير، إلى غير ذلك من صنوف قدرته وعظمته التي خصّها به بين الأنبياء قام في عشيّة يوم بعرض عسكري، وقد ركب جنوده من الخيل السراع، فأخذت تركض من بين يديه إلى أنْ غابت عن بصره، فأمر أصحابه بردّها عليه، حتّى إذا ما وصلت إليه قام تقديراً لجهودهم بمسح أعناق الخيل وعراقيبها، ولم يكن قيامه بهذا العمل صادراً عنه لجهة إظهار القدرة والسطوة أو للبطر والشهوة، بل إطاعة لأمره سبحانه وذكره حتى يقف

الموحّدون على وظائفهم، ويستعدّوا للكفاح والنضال ما تمكّنوا، ويهيّئوا الأدوات اللازمة في هذا المجال، وهذا هو الذي تهدف إليه الآيات وينطبق عليها انطباقاً واضحاً، فهلّم معي ندرس المعنى الذي فُرض على الآيات، وهي بعيدة عن تحمّله وبريئة منه) (الرازي؛ المجلسي).

وهو يردّ بذلك على تلك التفسيرات التشويهية لتلك الآيات الكريمة، والتي نشرتها الفئة الباغية لتشويه هذا النبي الكريم، والتي تذكر أن سليمان عليه السلام عرض عليه الخيل الجياد في وقت العصر، فألهاه هذا العرض عن صلاة العصر، فلما اقترب المغرب غضب وطلب من الله أن يرد الشمس بعد أن غربت ليصلي العصر فردت.. وكصورة من غضبه على الخيل لأنها كانت السبب في فوات العصر وألهته عن الصلاة قام وقطع سوقها وأعناقها مسحاً بالسيف (الطبري، ١٤١٥هـ).

ومن العجيب أن الطبري ـ وخلافا لعادته ـ ردّ هذا القول على الرغم من أن القائلين به من أعلام السلف، وانتصر لرواية لابن عباس يقول فيها: (جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبا لها)، والتي علق عليها بقوله: (وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله صلى الله عليه وآله لم يكن إن شاء الله ليعذب حيوانا بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها) (الطبري).

لكن هذه الحسنة، أو هذا الموقف الطيب للطبري لم يعجب ابن كثير الذي رد عليه بقوله: (وهذا القول اختاره ابن جرير، واستدل له بأنه لم يكن سليمان عليه السلام ليعذب حيوانا بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها.. وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيما إذا كان غضباً لله عز وجل بسبب أنه شغل بها حتى خرج وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله تعالى ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل) (ابن كثير).

http://ipt.isca.ac.ir

٥. الرسالية والدعوة للقيم الرفيعة

ونعني بها حرص الحاكم المسلم على نشر الهداية والقيم الرفيعة، وعدم اكتفائه بتوفير الرفاه أو العدالة الاجتماعية كما تنص عليه الأنظمة العلمانية التي لا تبالي بالقيم الأخلاقية، بل تعتبرها حائلاً بين الشعب وحريته الشخصية.

وقد أشار القرآن الكريم إلى مجالين من مجالات الرسالية التي أداها سليمان عليه السلام خير أداء؛ أولهما مرتبط برساليّته نحو رعيّته، والثاني نحو العالم، وسنتحدث عن كليهما في العنوانين التاليين:

أ ـ الرسالية المحلية

فقد ذكر الله تعالى في قصة سليمان عليه السلام خطابا له يخاطب به رعيته، ويذكر فيه فضل الله عليه، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل، ١٦)، وهو من خلال هذا الخطاب يبيّن أنّ كل ما حصل في دولته من قوة ورفاه وعدالة فضل إلهي ينبغي على الرعية أن تشكره، وتقوم بما عليها من واجبات تجاهه.

وهذا يشير إلى أنّ من مهام الدولة الإسلامية توفير كل السبل لنشر الفضيلة والقيم الأخلاقية الرفيعة، وعدم الاكتفاء بتوفير الحاجات المادية للشعب، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في بيان وظائف رسول الله صلى الله عليه وآله باعتباره نبياً ووليا لأمر المسلمين: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة، ٢).

ولذلك كان من أهم يميّز النظام السياسي الإسلامي عن جميع أنظمة العالم، اهتمامه بالقيم التربوية بجميع أصنافها، وفي جميع مجالاتها، ذلك أن هدف هذا النظام ليس توفير حاجيات الشعب الحسية فقط، وإنّما يهدف فوق ذلك إلى بناء الإنسان، وتحقيق ما يطلق عليه (التقوى الاجتماعية).

وجهل العلمانيين بهذه القيمة هو الذي جعلهم يتهمون النظام الإسلامي بكونه أسوأ الأنظمة في مجال حقوق الإنسان، لأنهم يتصورون أن تدخّله في تحريم المسكرات، ومنعه لدور اللهو، ومنعه لكل وسائل الإعلام التي تبث الانحراف، ومنعه لكل ما ينحرف بالأخلاق، تدخل في الشؤون الشخصية، ولم يعلموا أن النظام الحقيقي هو الذي يكون فيه الحاكم والداً لرعيّته ومربّياً لهم، يوجّههم، ويحميهم من كل ما يمكن أن يتسبب في فسادهم وانحرافهم.

ولهذا يستغرب الكثير من الذين تعودوا على الأنظمة المدنية التي لا تبالي بمثل هذه المسائل من الخطاب السياسي الإيراني، وذلك لتصورهم أن السياسة بعيدة عن هذه الأمور، بينما الحقيقة هي أن السياسة ـ بحسب الفلسفة التي يفكر بها النظام الإيراني ـ هي سياسة الأنفس قبل سياسة الشعوب.

وقد أشار الشيخ جوادي آملي إلى الفرق بين النظام الإسلامي وغيره من الأنظمة في هذا الجانب عندما قسم الحكومات إلى ثلاثة أنواع (آملي).

١ ـ الحكومة الاستبدادية: وهي المبنية على أساس السيطرة والقوة، والتي ترى أن الأقوى هو الذي يمسك زمام الأمور بكل قدرة ممكنة، كما قال الله تعالى حاكيا عن فرعون: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ (طه، ٦٤)، ولا مكان في هذه الحكومة لرأي الناس، ولا اهتمام لها بمصالحهم، ولا بأخلاقهم، ولا بدينهم، لأن الهدف عندها هو تأمين مصالح السلطة الحاكمة، بل إنّ هذه الحكومة قد تستعمل ـ مثلما استعمل الشاه ـ كل وسائل الانحراف، لتشغل الشعب بالشهوات عن مواجهة السلطة، كما قال تعالى عن وسائل فرعون لتطويع شعبه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف، ٥٤).

٢ ـ حكومة الشعب: أو حكومة الناس على الناس، مثل الحكومات التي يصطلح عليها بالديمقراطية، وتقوم على أساس رأي الأكثرية، وهدفها تأمين حاجات الناس المادية، ويكون المعيار للمصلحة والفساد والجمال والقبح والحق والباطل والخير والشر فيها مبنياً على رأي الأكثرية، حتى لو كان ذلك الرأي

مخالفا للصواب، ومنافيا للعقل والفطرة، وهو السائد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف، ١٠٣).

٣ ـ الحكومة الإلهية: وهي الحكومة التي ليست حقاً للحاكم الذي يظفر بالقوة والسلطة، ولا حقاً للناس بحيث تكون خاضعة لقوانينهم، بل هي حق لله الذي هو رب العالمين، وحدود فعالية هذا النوع من الحكومات هي أنها تشمل، بالإضافة إلى الأمور الاجتماعية، الأخلاق والعقائد؛ فهي تقدم للشعب البرنامج الواضح على مستوى العقيدة وتقرر لهم القوانين والقواعد على مستوى الأخلاق والسلوك.

وهذا البرنامج ليس خاصاً بالشعب، وإنّما هو عام بالشعب ومسؤوليه، والذين يخضعون جميعاً لما تتطلبه القيم الإيمانية والأخلاقية التي هي الحكم الأكبر في الدولة.

وهذا المعنى الذي ذكره الشيخ جوادي آملي، ذكره الإمام الخميني في لقاء له مع جمع من أعضاء الطائفة اليهودية في إيران عقب انتصار الثورة الإسلامية، والذي حاول من خلاله أن يشرح لهم الفلسفة التي يقوم عليها نظام ولاية الفقيه، فقد قال: (إن كل الأديان التي أنزلت من عند الله تبارك وتعالى وجميع الأنبياء العظام هي من أجل راحة الانسان وتربيته، إن الله تبارك وتعالى قد أراد بإنزاله الوحي على الأنبياء العظام هداية الناس وتربية الإنسان، الإنسان بجميع أبعاده) (الخميني).

ثم ذكر أن هذا البعد الذي تراعيه الحكومة الإلهية، وتعتبره في قمة أولوياتها وأهدافها، لا تبالي به الأنظمة الأخرى، لكونها أنظمة دنيوية محضة، يقول: (إن المذاهب والمسالك الأخرى لا شغل لها بماذا يكون عليه الإنسان في ذاته وجوهره ومع نفسه، إنهم يتطلعون إلى حفظ دنياهم، وحفظ النظام بينهم فحسب؛ فإذا كان النظام مستقراً فليفعل الإنسان ما يشاء، وليرتكب كل ما يشاء من المخالفات بعيداً عن الأنظار، إذ لا ربط لذلك بالحكومة، فليس من قانون هنا ـ في النظم غير التوحيدية ـ يمنع الإنسان من بعض الأمور داخل بيته .. وإنّما

المهم عندهم فقط هو أن لا يسير الانسان في الشارع معربداً ويخل بالنظم، إن جميع المسالك غير التوحيدية هي بهذا الشكل وهذا بخلاف المسالك التوحيدية والأديان التي نزلت على الأنبياء العظام) (المصدر نفسه).

ثم أشار إلى المسؤوليات المناطة بالحكومة الإلهية مقارنة بالمسؤوليات الملقاة على الحكومات المدنية، فقال: (إن جميع هذه الأمور من أجل أن يكون هذا الإنسان الذي يُراد إيجاده إنساناً مهذباً، صالحاً للعمل، متحلياً بمحاسن الاخلاق والاعتقادات الصحيحة، يقوم بأعمال حسنة ويعرف كيف ينبغي أن يكون سلوكه مع الناس، كيف ينبغي أن يكون سلوكه في المجتمع، كيف ينبغي أن يكون مع الجيران، كيف ينبغي أن يكون مع أبناء مدينته، كيف ينبغي أن يكون مع أبناء دينه، ومع أتباع الأديان الأخرى، إنّ الأديان التي جاءت من عند الله تبارك وتعالى إنما تهتم بكل هذه الأمور لأنّ الله هو الذي خلق الانسان ويريد تربيته في جميع أبعاده ولهذا لافرق بين دين وآخر في هذه المسألة، لأنّها جميعها جاءت لتربية الانسان) (المصدر نفسه).

ب ـ الرسالية العالمية

ونقصد بها اهتمام الحاكم المسلم بتصدير الرسالة الإسلامية للعالم أجمع، وعدم اكتفائه برعيته، مثلما فعل سليمان عليه السلام حين كتب إلى ملكة سبأ يقول لها: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل، ٣١).

وهكذا يذكر الله تعالى ما أظهر سليمان عليه السلام لملكة سبأ من مظاهر الملك الذي أعطاه الله له، فلم يكن غرضه الفخر عليها، وإنّما كان غرضه تعريفها بالله، قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً

وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل، ٤١ - ٤٤).

وهذا المعنى هو نفسه ما أطلق مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وفيلسوفها الإمام الخميني (تصدير الثورة)، والذي أسيء فهمه كثيراً، لا من الحكام الخائفين على عروشهم فقط، بل من رجال الدين أنفسهم الذين راحوا يؤولون هذا بكونه تصديرا للتشيّع، مع أنّ الخميني لم يذكر التشيّع أبداً، بل تحدث عن قضايا مشتركة، يتفق عليها المسلمون جميعا.

وقد فسر الإمام الخميني مراده من تصدير الثورة، وردّ على الشُبه التي يلفّقها الأعداء حولها في مناسبات كثيرة، ومن ذلك قوله: (إن الهدف من تصدير الثورة إلى الدول الإسلامية وكافة الدول التي يناضل فيها المستضعفون ضد المستكبرين هو الوصول إلى حالة معينة تكون فيها الحكومة غير مستبدة وغير ظالمة، ولا يكون الشعب فيها عدواً للحكومة. فهدفنا الأصلي هو المصالحة بين الشعوب والحكومات؛ فلو قامت حكومات بلدان العالم بدراسة التجربة الإيرانية واطلعت على حقيقة العلاقة بين الحكومة والشعب لتأثّرت أيّما تأثر) (صحيفة الإمام)

ويذكر بأسف ما تقوم به ما يسميها (الأقلام المأجورة ووكالات الأنباء والقنوات المغرضة التي تعادي إيران حكومة وشعباً) من تشويه (صورة الثورة في الخارج، والجميع هنا يعرف الهدف من ذلك. فحكومتنا وشعبنا ملتحمين متحدين ويقف فيها الجامعيون مع رجال الدين جنباً إلى جنب وكذلك بقية فئات الشعب كما ينصهر الجيش والعسكر مع عامة الشعب في بوتقة واحدة، ومع وجود هذا التلاحم لا يمكن للغرب أن يصل إلى أهدافه ولا يمكن لحكومة خائنة أن تصل للسلطة وتعمل على خدمة المصالح الغربية. فلو أدلى وزير أو رئيس الوزراء بكلمة تصب في مصالح الغرب لواجه معارضة شديدة من الشعب) (المصدر نفسه).

وهو يذكر بأسف الدور الذي قام به رجال الدين في الدول الإسلامية من

تشويه إيران، بدل أن يدعموها، ويستفيدوا من تجربتها، فيقول: (إننا فضلاً عن المعاناة التي تسببها لنا أمريكا والاتحاد السوفيتي فإننا في مواجهة فتنة عظيمة تتمثل بأولئك الذين يدّعون التدين ويتحدثون باسم الدين، والكثير من هؤلاء يتربع على رأس الهرم الديني ومؤسسات الإفتاء في العالم الإسلامي، حيث يفسر هؤلاء كلامنا كما يحلو لهم، ومن ثم يتهموننا بالكفر ويعتبروننا خارجين عن الدين. فإن كان ذلك ناتجاً عن سوء فهم فإني أنصح هؤلا ء بالدراسة المعمقة والاطلاع الدقيق على الحقائق ليدركوا فداحة الخطأ الذي ارتكبوه وبطلان التهم التي انهالوا بها علينا، وأنّ الغرب هو الرابح الوحيد لانعكاسات هذه الفتنة، وإن كان في ذلك تعمداً مغرضاً فليعلم هؤلاء بأنّهم يواجهون دولة إسلامية سعت ومازالت تسعى لرصّ الصفوف والمصالحة بين الإخوة في سبيل اتحاد الدول الإسلامية بعيداً عن أسلوب التكفير الذي يتبعه الجبناء ولكن البعض ممن يرتدي لباس الإفتاء ويلقب بالمفتي الأعظم والشيخ الأكبر راح ينشر سمومه ويغرس مخالبه) (المصدر نفسه).

ثم يتساءل متعجباً من المصادر التي يستقي منها هؤلاء مواقفهم، وعن علاقتها بالدين، فيقول: (لماذا يقوم البعض في الحجاز والكويت والأماكن الأخرى بتأويل كلامنا وتوجيه التهم الباطلة إلى دولة إسلامية تسعى لإيجاد الوحدة بين المسلمين وتناضل من أجل طرد الغرب من أرض المسلمين؟ إنّ هؤلاء يخدمون الغرب من جهة ويفرقون المسلمين من جهة أخرى .. ألا يعلمون أنه لا تجوز إثارة التفرقة بين المسلمين وأنّ ذلك مخالف للنص القرآني؟ .. ألا يعلمون ذلك حقاً أم أنّهم يعملون على خدمة الغرب عن عمد وقصد لا سمح الله؟ .. ألا يعلم هؤلاء بأنّ أفعالهم وتصرفاتهم هذه مخالفة للإسلام وتعاليمه وتصب في مصلحة الغرب ليس إلّا؟ .. ألا يعلم هؤلاء أنهم بأفعالهم وأقوالهم هذه يخدمون الغرب عن قصد أو غير قصد؟) (المصدر نفسه).

خلاصة البحث والنتائج

بعد هذا العرض الموجز لما ورد في القرآن الكريم من صفات الحاكم المسلم من خلال نموذج سليمان عليه السلام نخرج بالنتائج والتوصيات التالية:

وضع القرآن الكريم نظرية كاملة للنظام السياسي من خلال عرضه لقصة سليمان عليه السلام وصفاته وتدبيره لرعيته، والتي يمكن الاستفادة منها في التأصيل النظري للدولة الإسلامية والمقومات التي تقوم عليها.الحاكم المسلم هو الذي تتوفر فيه كل الصفات الروحية والأخلاقية والعلمية التي تتيح له أداء دوره بأحسن الوجوه، ولذلك كان اختياره لا على أساس شعبيته فقط، كما هو الحال في الأنظمة الديمقراطية، وإنما على أساس كفاءته وخبرته وقدراته.

الحاكم المسلم هو الذي يهتم بشؤون رعيته، ويسعى في مصالحها، ويقوم بتطوير دولته، وتحقيق كل أنواع الرفاه والعدالة لها. الحاكم المسلم هو الذي لا يكتفي بالشؤون المادية لرعيته، وإنّما يسعى لتهذيبها وتزكيتها وتربيتها عبر وضع المؤسسات والبرامج الخاصة بذلك. الحاكم المسلم هو الذي يسعى بكل جهده لتوفير القوة لدولته وحمايته من كل استهداف خارجي أو انحلال داخلي. نوصي من خلال هذا المقال بما يلي:

الاهتمام بالدراسات القرآنية، وخاصة ما يرتبط منها بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠)، مع الرد على كل الإساءات التي تعرّضوا لها في التراث الإسلامي، والتي حجبت عن الفهم السليم لرسالتهم وأدوارهم. الاهتمام بتفعيل ما ورد في القرآن الكريم في الواقع من خلال إيجاد الآليات العملية لتحقيق ذلك؛ فالقرآن الكريم اكتفى بذكر الأصول النظرية، تاركا الأمور العملية، وكيفية تنفيذها للظروف المختلفة.

المصادر

* القرآن الكريم

١. الإمام الخميني، مصطفى بن أحمد الموسوي. (ت١٩٨٩م). صحيفة الإمام. إيران: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني.

٢. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. (١٣٨٧هـ). نهج البلاغة (جمع: الشريف الرضي، محقق: صبحي الصالح). بيروت ـ لبنان.

٣. البخاري ـ محمد بن إسماعيل. (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). صحيح البخاري (محقق: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة). بيروت: اليمامة ـ دار ابن كثير.

٤. ابن أبي شيبة، أبو بكر. (ت٢٣٥هـ) المصنف لابن ابى شيبة. بومباي الهند. دار السلفية.

٥. ابن أبي شيبة، أبو بكر. (ت٢٣٥هـ)، (١٤٠٩هـ). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (محقق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى). الرياض: مكتبة الرشد .

٦. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. (ت٢٧٩هـ)، (١٩٩٨م). سنن الترمذي (الجامع الكبير) (محقق: بشار عواد معروف). بيروت ـ لبنان: دار الغرب الإسلامي.

٧. الجوادي الآملي، عبد الله. (١٤٣٨هـ). الكلمة الطيبة (دروس في ولاية الفقيه). قم، ايران: دار الولاية.

٨. الدمشقي ـ إسماعيل بن عمر بن كثير. (ت٧٧٤هـ)، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م). تفسير القرآن العظيم (محقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية). دار طيبة للنشر والتوزيع.

٩. السبحاني ـ الشيخ جعفر بن محمد حسين. (١٤٢٠هـ). عصمة الأنبياء في القرآن الكريم. بيروت ـ لبنان: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠. الشيباني ـ أحمد بن حنبل. (١٤١٤هـ). مسند أحمد بن حنبل. بيروت: دار الفكر.

١١. الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم. (١٤١١ه، ١٩٩١م). الآحاد والمثاني (محقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى). الرياض: دار الراية.
١٢. الشيرازي، ناصر مكارم. (١٤٣٣هـ). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الثالثة). قم، إيران: دار النشر الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام.
١٣. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف. (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م). سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى). بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية.
١٤. صحيفة الثورة الإسلامية. (١٤٠٩هـ). نص الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني. طهران: وزارة الثقافة.
١٥. الصفار القمي، الحاج ميرزا محسن كوجه باغي التبريزي. (١٤٠٤ه). بصائر الدرجات في فضائل آل محمدعليهم السلام. قم ـ إيران: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
١٦. الطبري ـ محمد بن جرير. (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م). جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري). بيروت ـ لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٧. الغزالي ـ أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. (٢٠١٠م). إحياء علوم الدين. بيروت ـ لبنان: دار المعرفة.
١٨. القرطبي، محمد بن أحمد شمس الدين. (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م). الجامع لأحكام القرآن (محقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، القاهرة). دار الكتب المصرية.
١٩. القشيري النيسابوري ـ مسلم بن الحجاج. (ت٢٦١هـ)، (١٣٩٨هـ). صحيح مسلم (الطبعة الثانية). بيروت ـ لبنان: دار الفكر.
٢٠. عنان، محمد عبد الله. (ت١٤٠٦هـ). (ج ١، ٢، ٥/ الرابعة، ١٤١٧ه ـ ١٩٩٧م، ج ٣، ٤/ الثانية، ١٤١١ه ـ١٩٩٠م). دولة الإسلام في الأندلس. القاهرة ـ مصر: مكتبة الخانجي.

المجلد ١ * العدد ١ * الرقم المسلسل للعدد ١ * ربيع و صيف ٢٠٢١

٢١. سعيد النورسي، بديع الزمان. (١٤١٤٢هـ ـ ١٩٩٢م). الكلمات (مترجم: إحسان قاسم الصّالحي). مصر: دار سوزلر للنشر.
٢٢. الهلالي ـ سليم بن قيس. (١٤٠٥هـ). كتاب سليم بن قيس الهلالي (محقق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، الطبعة الأولى). قم ـ إيران: دار الهادي.

http://ipt.isca.ac.ir